١٤ـ الرغبات الملتهبة

كانت رهبة الحادث تثير الآسى، وقد تعاطف أهل القرية عن بكرة أبيهم مع "دياب النمر" لا لشخصه، ولكن لبشاعة حرقه فالطريقة التي مات بها مازالت لغزًا مستعصيًا على الحل، ومع الأيام رويدًا رويدًا انصرفوا عن الموضوع يفكرون في موضوع آخر كالعادة، فالآلام القديمة تطمسها الأحداث الجديدة.

ولم يمض يومان على دفن الجثة حتى جاء "المأمور" يقدم واجب العزاء، ويعرض على"فاتن" تقديم أوراقها لمنصب العمودية خليفة لزوجها الراحل، راقت الفكرة لها ،لأنها ستصبح صاحبة النفوذ، وسوف يمكنها المنصب من الحركة بحرية، وقد أدركت أن المنصب الجديد يتطلب منها زيارة"المأمور" في شقته، حتى يوقع طلب التعيين بطريقته الخاصة، كما تم بالماضي عندما عين زوجها لهذا المنصب، ولكنها على غير العادة أحست بزهد في إقامة أي علاقة جديدة مع أي رجل، فطلبت منه إتمام إجراءات التعيين أولاً، على أن تذهب إليه بعد أن تتولى مهام العمودية.

طار الخبر كالبرق ، فـي "كفر الهوى" فالأخبار في هذه البلدة لا تنتظرحتى صباح اليوم التالي، وبمجرد حدوثها تنتشر في لحظات، وعلم القاصي والداني بأمر العمدة الجديدة، فانقسمت القريةإلى نصفين، النصف الأول معظمهم من الرجال، ويرفضون أن تنتقل العمودية إلى سيدة، خشية أن تُغَير البلدة من القرى المجاورة بأنها بلا رجال، والنصف الآخر معظمهم من النسوة، ويؤيدن بشدة تولي "فاتن" للمنصب، ويبررن ذلك بأن السيدة لها نفس حقوق الرجل، ولا فرق بين رجل وامرأة إلّا برجاحة العقل، وسادت حالة من الهرج والمرج.

كان "شفيق الخفير" يتزعم المعارضة رافضًا بشدة أن تكون عمدة القرية سيدة، ويتبعه في ذلك بعض الدراويش الجدد من أتباع ضريح الشيخ "يوسف الغريب"، وانطلقت بعض العبارات الدارجة تنتشر لتسوق تلك الممانعة، مثل مقولة العوام: "مشورة المرأة وإن صحت بخراب سنة" ،ومقولة:"المرأة مالها إلا دارها"، ومقولة: "المرأة شعر طويل وعقل قصير"، ومقولة:"الشيطان أستاذ الرجل وتلميذ المرأة"ومقولة: "إن كيدهن عظيم".

رأى البعض من الفريق الرافض لتولي "فاتن" منصب العمودية، مبني على أنها غير مؤهلة لهذا المنصب، بغض النظر عن جنسها، فهي لا تجيد سوى إلهاب المشاعر المكبوتة لدى الرجال، ولا علاقة لها بالعمل العام، ومصدر ثروتها مازال مجهولا، وأصحاب هذا الرأي رغم أنهم أقلية معدودة، لايرفضون حق المرأة في العمل العام طبقًا لمبدأ الكفاءة.

ومنذ أن تقدمت "فاتن" بأوراقها لشغل المنصب، التف الناس حول بعضهم البعض يحررون الشكاوي ضدها إلى جهات أعلى، وضد المأمور، فقد علموا أنه سوف يزكيها كما دعم زوجها الراحل، فارتبك المشهد، وأصبح الأمر أكثر صعوبة من ذي قبل، خاصة بعد أن حشد "الخفير شفيق" حوله العشرات يحررون الشكاوى بشكل شبه يومي.

هذا الرفض جعلها تتشبث بالفكرة التي لم تخطر لها على بال من قبل، وأصبحت تسعى للفوز بالمنصب بأي وسيلة، وبدأت تخطط بدهاء شديد لذلك، فأوعزت إلى من يؤيدها إلى تحرير العشرات من الخطابات التي تزكيها، حتى تفرغ التأثير من خطابات معارضيها، وأخذت المشكلة بعدًا جماهيرياً.

ومن جانب آخر لم يتوقف "سرحان الأعسر" عن متابعة أخبار معشوقته، فكان ينزل كل يوم إلى القرية، وكل مرة بحجة جديدة، وكلما أغلقت "فاتن" في وجهه بابًا فتح بابًا آخر، لم تكن تستريح له، بيد أنه بهداياه وتوسطه في طرح المشكلة إعلاميًا من خلال تجنيد بعض المعدين في برامج "التوك شو" بالمال، جعلها تلين معه، وخاصة بعد أن طرحت بعض الفضائيات مشكلة الصراع على منصب العمودية بالقرية، على أنها قضية من قضايا المرأة، فانطلقت الكثير من الجمعيات الحقوقية تسوق الأمرعلى أنه نوع من الاضطهاد الحاد،

والذي يتمثل في حرمان النساء من حقوق المواطنة، والتفتت الإدارة إلى تلك القضية من منظور جديد، فتريثت في القرار بإرجاء الأمر حتى تتخذ الموقف الصحيح.

بيد أن هذه المشكلة قد مكنت "سرحان الأعسر" من تخفيف حدة استياء "فاتن" منه، وتغيرت نحوه تدريجيا، وخاصة بعدما أغواها برنين المال، عندما عرض عليها تصريف حصة زوجها في توزيع المخدرات كأنه موجود، وتسليمها كامل الأرباح، فأمسك بمفتاح عقلها للوصول إلى قلبها فيما بعد، فانقسمت مشطورة إلى نصفين، نصف يهرول نحو المال، ونصف معجون بالرغبة يذوب نحو الفتى "غريب".

لقد طرأ شيئ جديد على شخصيتها، بأن فقدت الإحساس بكل الرجال، فيما عدا رجل واحد، فكما كان يلهث وراءها "سرحان الأعسر"يجتث الأرواح من فوق الأرض حتى ينالها، تلهث هي الأخرى وراء "غريب" بعمرها حتى تناله.هذه الدائرة المغلقة جعلت كلاهما كمن يدور حول السراب يعتقد أنه الماء، والماء يأبى أن يتدفق من ينابيعه.

تحررت "فاتن" من حزنها، بعد أقل من أسبوعين من حادث الوفاة المفجع وعادت تفكر في "غريب"بشوق جارف، كأنها مراهقة، تتملكها أشواق عنيفة نحو الفتى، وظلت تتبعه تارة بالنظر إليه من شرفتها، وتارة تتحدث معه في الهاتف، وتارة أخرى تطلب منه الدعم في منصب العمودية، كان يتهرب من الحديث إليها، فلا يرد على أرقامها حين تظهر على الشاشة، وإذا رآها في طريق يسرع بتغيير وجهته هربًا من لقائها، وخاصة بعد أن سمعها عدة مرات تهمس في أُذنه بإيحاءات جنسية صريحة، وذلك وفاءً بعهد الهوى مع حبيبته.

في مساء ليلة عصيبة، وبعد الثامنة مساءً، دخلت عليه"فاتن" بمكتبه في المزرعة، وأسقطت عباءتها على الأرض تراوض الفتى عن نفسها، ظهرت معالم جسدها الممشوق، أسفل قميص النوم الشفاف كما النار تشعل الرغبة في الوجد، شعر بجفاف اللعاب في فمه من شدة الإثارة، وتصبب العرق منه دون أن يطفئ حرارة المشاعر، كان يشعر أن مفاصله مفككة، فلا يقوى على صدها، وتصدعت

مقاومته أمام جرأتها الزائدة، وعندما تمايلت أمامه كما غصن البان، تهدمت فكرة المقاومة لديه، تذكر أنه رأى نفس الحركات الملتهبة في الماضي من امرأة أخرى، عندما استدرجته بها مدام "ماري" في إيطاليا منذ بضع سنوات، وكأن الإغواء لغة عالمية، لا فرق فيه بين أنثى شرقية وأخرى غربية.

وجه الشبه بين الانثتين أنهما كانتا أربعينيتين عند إغوائه، ولذيذتين، وغضتين بضتين، بيد أن المصرية كانت أكثر حرارة وإثارة، شيطانة ترتدي ثوب أنثى، أما الإيطالية فكانت أكثر إنسانية، امرأة تكسوها الرقة، وينبع من قلبها العطاء.

وعندما أصبح الفتى بين قاب قوسين أو أدنى من الزلل، تذكر "رجاء" وعهده معها، فعاد لرشده بأن ضغط بشدة وعصبية على جرس يستدعي حارس المزرعة"عادل" فدخل مسرعًا، فبهتت الملتاعة من دخوله، فانحنت ترفع العباءة تلف جسدها، وتلعن فعلته، وخرجت"فاتن" تجرذيول الحسرة جرّاء ما حدث، وعقدت العزم على أن تعود إليه مرة أخرى بتدبير محكم.

وبعد خروجها أوصى"غريب" العامل بعدم السماح لهذه المرأة بالدخول إليه مرة أخرى، فوعده بذلك، ورفع هاتفه يخبر خطيبته بما حدث، فقد كان يخبرها بكل صغيرة وكبيرة عندما يبعث لها الرسائل على"الفيس بوك"، وفي المساء عند عودته للمنزل وجد أن "رجاء" قد كتبت له هذه الرسالة:

بنت النيل: حبيبي احذر من هذه المرأة اللعوب، فهي غامضة كزوجها الراحل، واعلم أن كيدها مؤلم، ولذا عندما تصدها ادفعها عنك برفق، حتى لا تطلق عليك شيطان الغدر، فتصاب بمكروه، حبيبي سلامتك عندي فوق غيرتي عليك، وعشقي لك أكبر من صليل الرغبة المزروعة نحوك في قلبي، أحذرك من غدر الفاجرة إذا ضربها الهوى، فهي كالأفعى أن لم تتحاشاها سوف تلدغك بالسم، فكن معها كالحاوي تروضها تارة بحسن التجاهل، وتارة بحسن الخلق، وتارة بالهروب منها، فربما تيأس منك، ويصرف الله عنك شرها.

قرأ "غريب" الرسالة فرد عليها:

ابن النيل: حبيبتي لقد وعدتك بعد انتهاء علاقتي بمدام "ماري" أثناء تواجدي في "إيطاليا" بأني لك فقط، وكانت الغلطة الأولى في حياتي هي الغلطة الأخيرة، وهذا العهد أصدق عهد قطعته على نفسي، ويساوي حياتي، فلا تقلقي عليّ، ومادمت أذوب فيكِ بطهر لن أخشى في سبيل الوفاء بحبك من الموت نفسه، أشتاق إلى لقائك في الغد، وسوف أنتظرك منذ الصباح عند شجرتنا العتيقة على ضفاف النيل لنقضي يومًا جديدًا مع نسمات النهر الخالد.

وفي الموعد التقى الحبيبان بعلم الأسرتين، فمنذ الخطوبة وهما يلتقيان مرة بالخارج كل أسبوع، ويزورهم "غريب" بالمنزل مرة في الأسبوع، وبعد مداولات ومناقشات تحدد موعد الزفاف للعروسين في نهاية الخميس الأول من شهر يناير، وباقي شهر ونصف على موعد الزواج الميمون.

في منتصف شهر ديسمبر خرج "سيف جاد" من المستشفى، وقد شُفي من براثن الإدمان، وعاد إلى القرية، ولكنه ظل بدون عمل، فقد فُصل من عمله ببنك التسليف الزراعي بسبب غيابه، وأقام دعوة قضائية للرجوع إلى العمل، ولكن هذه الدعوة سوف تأخذ وقتًا طويلاً، وربما ترفض، وبمجرد أن علم "غريب" بخروجه ذهب إليه وعينه كاتب حسابات للمزرعة، وقبل قدومه للعمل بيومين حدثت مشكلة بالمزرعة، فقد سُرق مبلغ ٣ آلاف جنيه من غرفة المكتب، فاقترح عليه"سيف جاد" تشغيل برنامج سري للمراقبة بالكاميرات، وذلك بمكتبه، وعنبر الإنتاج، بهدف تسجيل كل ما يدور بالمزرعة، وتفريغ الأشرطة المسجلة عند الطوارئ، وتم تنفيذ هذا الاقتراح، لمعرفة من هو اللص القادم.